مجلة اللسانيات التطبيقية ISS N : 2588-1566 الصفحات: 01-23
المجلد: 06 العدد: 01 (عدد خاص) السنة: 2022

العلامة أحمد فوزي الهيب، مسيرة علم وكفاح

The scholar Dr. Ahmed Fawzi Al-Hayeb, a journey of knowledge and struggle

د.إسراء الهيب*
جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر- 02 –(الجزائر)
israahaib@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2021/12/20	تاريخ القبول: 2021/12/22

الملخص:

لا شيء أصعب من أن تكتب عن سيرة علم من أعلام الأمة، يكون ذا قرابة وطيدة، إذ يتطلب الأمر سرد سيرته بموضوعية ومصداقية ودقة متناهية، وقد تتراكم في ذهنك المواقف والأقوال والأفكار والمؤلفات وكل ما أحاطت به هذه الشخصية الفريدة التي تميزت بعطائها العلمي وتفاعلها الثقافي وفكرها الحضاري المتنور، إنه الأستاذ الدكتور العلامة أحمد فوزي الهيب، الذي وهب حياته للعلم والمعرفة، وخص مدينته حلب الشهباء بوافر تأليفه، وقدم علما نافعا فتح به آفاقا عظيمة في سبيل إحياء التراث العربي الإسلامي، الذي طالما مجّده وتحمل أمانة نشره، والمحافظة على إبرازه في حلته البديعة، كي يساهم في مدّ جسور متينة بين الحداثة والتراث، فجاءت آثاره من مؤلفات وتحقيقات خير دليل على تأكيد هويته العربية الإسلامية، ورسالته الحضارية الأصيلة خير دافع للسير على خطاه وهداه، أصالة وتسامحا وعلما وإبداعا.

الكلمات المفتاحية: أحمد فوزي الهيب، حلب الشهباء، عالم، محقق، شاعر، أصالة.

Abstract:

There is nothing more difficult than writing about a biography of one of the nation's notables, who is a relative, as it requires his biography to be told objectively, credibly and precisely, and it accumulate in your mind positions, sayings, ideas, literature and everything that

* المؤلف المرسل: إسراء الهيب

surrounded this unique personality that was distinguished by its scientific giving, cultural interaction and enlightened thought, it is Professor Dr. Ahmed Fawzi Al-Haib, who dedicated his life to science and knowledge, and singled out his city of Aleppo Al-Shahba with the abundance of his authorship, and presented a useful knowledge with which he opened great horizons for the sake of reviving the Arab Islamic heritage, which he has long glorified and carried the concern of spreading it, preserving its visibility in its splendid appearance, in order to contribute to creating solid bridges between contemporary and heritage, his books and investigations came as the best evidence for confirming his Arab-Islamic identity, and his authentic civilizational message is the best motive to follow in his footsteps and his guidance, authenticity, tolerance, knowledge and creativity.

Keywords: Professor Dr. Ahmed Fawzi Al-Haib, Investigator, Poet, authenticity, Scholar, Aleppo Al-Shahba.

أصله وأسرته :

هو الأديب الأريب، العلامة المحقق، الشيخ المربي، الشاعر الأستاذ الدكتور أحمد فوزي الهيب، الحلبي نسبا ونشأة ، الكويتي السعودي الجزائري مقاما، الحنفي مذهبا، السني معتقدا.

ولد في الثامن عشر من شباط عام ألف وتسعمائة وستة وأربعين في الشرعسوس، حارة من حواري حلب القديمة والعريقة، حيث الأصالة، تسودها القيم والروح الجماعية، حين كان العالم أصغر مساحة، بينما أكبر من حيث ارتباط الفرد بمحيطه، وأوثق في علاقاته ومعارفه في دائرة مجتمعه، عمل والده محمد زكي في سلك الشرطة، وكان جده والد أمه أحمد كحيل الآغا يعمل محاميا، وله وزنه وقدره.

ذات يوم اصطحب الشرطي الخلوق ابنه الصغير البالغ من العمر ثمانية أعوام إلى حمام السوق، إذ هي عادة من عادات أهل حلب قديما، وما كان من الطفل إلا أن انتظر والده حتى ينهي حمامه ليعودا معا إلى البيت، لكن يشاء الله أن يخرج الوالد مغتسلا من أعباء الحياة، محملا على الأكتاف، يقاد جثمانه إلى داره مع جمع غفير من أبناء الحي، يتوسطهم الطفل البريء أحمد فوزي الذي لم يدرك حينها أنه فقد والده منذ هذه اللحظة، وأنه سيتحمل مسؤولية أمه وأخته الرضيع(فوزية)، وأنه سيغدو (رجل البيت)، الجملة التي رددها على سمعه أصدقاء والده، وهم يعزونه في وفاته، فكانت مبعثا له للهمة والمواظبة في رحلة كفاحه طوال الأيام القادمة.

عززت هذا الأمر والدته السيدة خديجة كحيل، صاحبة الشخصية القوية الحازمة الصارمة، شديدة الشكيمة ، قوية العزيمة ، التي عملت بدورها على متابعة تحصيله العلمي صيفا وشتاء، فلم يعرف أحمد عطلة مدرسية قط، الأمر الذي زاده تميزا وتفوقا على أقرانه، كما آثرت الأم الصالحة تربية ابنها على الزواج رغم أنها ما زالت في سن صغيرة، وبذلت نفسها في سبيل رعايتهما وتأمين متطلباتهما على أكمل وجه، فجعلت منه إنسانا متميزا متفردا على أقرانه وأبناء عمومه، ليس في علمه وتفوقه فحسب، بل في لباسه وهندامه وأناقته، وبقي هذا حاله على مرّ مراحل حياته.

نشأته ومراحل تعليمه:

أكمل أحمد فوزي مراحل تعليمه الأولى بكل تميز وتفوق بالمدرسة الهاشمية الواقعة في حي تراب الغربا، وكان دائم التردد على زاوية الشيخ عبد الله في جامع الحي، ثم واصل تعليمه الإعدادي في مدرسة المعري في حي الحميدية، واستمر التفوق يصاحبه طوال مراحل تعليمه إلى أن التحق بمعهد دار المعلمين الواقع

في الميدان الأخضر محلة بستان الباشا، وهي الدار التي أسست لتخريج معلمي المرحلة الابتدائية، وتستغرق مدة الدراسة فيها أربعة أعوام، تبدأ بعد المرحلة الإعدادية، وكان ذلك المعهد يستقطب الكثير من الشباب الذين يعدّونه خطوة نحو مستقبل واعد، إذ يضمن وظيفة ذات دخل ثابت، فضلا عن راتب شهري يُمنح طوال سنوات الدراسة، وقد مر على معهد إعداد المعلمين الكثير من أعلام المدينة وكبار مثقفيها، فكانوا يجتمعون فيما بينهم يتدارسون أمورا علمية، ويتناقشون في شؤون البلاد، ولهم دور فعّال في حركة النهضة الوطنية، فقد شاركوا في حركات تضامنية مؤيدة لجمال عبد الناصر أيام الوحدة بين مصر وسورية، فكانت روح الحماسة والنضال تملأ قلب أحمد الفتي المفعم بالحياة. فضلا عن مشاركاته مع أقرانه وأبناء الحي في رحلات ترفيهية، يقومون بها من حين لآخر، يمارسون فيها نشاطاتهم الرياضية من سباحة وركوب الخيل، يتخللها المزاح والمرح والتحديات وروح الدعابة التي تمتع بها الشاب أحمد فوزي.

لكن حب العلم وروح الإصرار عند الطالب المُجدّ أحمد فوزي جعلته لا يكتفي بهذا الحد من التعليم، فتوجه إلى تقديم الشهادة الثانوية الأدبية بصفة دراسة حرة، نجح فيها بتفوق والتحق بجامعة حلب، فكان من الأوائل على دفعته، كثير التقرب من أساتذته، يحاورهم ويناقشهم ويفيد منهم، حتى أصبح الطالب الأثير لديهم، كما كان يمد يد المساعدة لزملائه وأصدقائه، فيقوم بتدريسهم ما استصعب عليهم، أو استكمال ما فاتهم، فحظي بمحبة زملاء الدراسة وتقديرهم له.

وما إن تخرج سنة 1970م، حتى تابع دراسته العليا في دمشق، فحصل على شهادة الدبلوم في الدراسات الأدبية سنة 1971م، ويمّم وجهه مباشرة إلى مصر، جامعة الإسكندرية، حيث سجل رسالته الماجستير في الأدب العربي،

ونالها بدرجة جيد جدا سنة 1976م، ويذكر أنه يوم مناقشته رسالته الماجستير، تحدث مع أستاذه المشرف (الدكتور محمد مصطفى هدارة) في موضوع رسالته الدكتوراه، وتعجب أستاذه من حماسه ونشاطه العلمي النادر، ولم يخب ظن أستاذه به، إذ حصل على شهادة الدكتوراه مع درجة الشرف الأولى سنة 1983م، وقد أثنى عليه أستاذه، وقدم له رسالته الدكتوراه في طبعتها الأولى.

مسيرته العملية ونشاطه الثقافي:

ما يميز شخصية الدكتور أحمد فوزي الهيب العملية أنه كان عصاميا منذ نعومة أظفاره، تحمل مسؤولية عائلته الصغيرة، وهو في سن مبكرة، وحين فرضت عليه والدته مواصلة الدراسة صيفا وشتاء، لبى رغبتها إلى أن اشتد عوده وقوي بنيانه، فرفض الدراسة صيفا، وفضّل العمل فيه والدراسة شتاء، عمل وهو ما يزال صغيرا، في المرحلة الإعدادية في محل لبيع الأقمشة، في حي السبع بحرات، فكان مثالا للأمانة والنباهة والنشاط، ثم عمل في صيدلية، يخلط الدواء ويبيعه بإشراف صيدلاني متخصص، أعجب بذكائه وإتقانه للعمل وسرعة بديهته، حتى إنه لشدة إعجابه به، عرض عليه أن يساعده في إكمال تعليمه في الثانوية العلمية، ليتخصص في كلية علمية يقوم هو بكامل نفقاتها على أن يردها له حين انتهائه من الدراسة، لكن الشاب اليافع - بكل أدب- اعتذر عن قبول هذا العرض، ولم يشأ أن يتكفله أحد، بل فضل أن يدخل فرعا أدبيا يكون فيه قادرا على الدراسة بكامل كرامته وعزة نفسه، فهو الذي تمتع منذ صغره بشخصية ذات أنفة وكبرياء، وبقي عزيزا يرتقي من مقام إلى مقام، سعيدا بما يحقق من أحلام ونجاحات.

حين تخرج من معهد دار المعلمين، عمل معلما للمرحلة الابتدائية، وتابع دراسته الجامعية بحلب، ثم انتقل إلى التدريس في ثانوية المتنبي، وتزوج في هذه المرحلة وهو في سن صغيرة، لم يتجاوز السنة الأولى من عقده الثاني، وحين اختار شريكة حياته اختارها من بيت علم وأدب وخلق، فكانت معلمة تخرجت من معهد دار المعلمين، تعينه في مساره العلمي، وتقاسمه أحلامه في الوصول إلى أهدافه السامية الرفيعة، ولم تمنعه كثرة المسؤوليات من إتمام مهامه العلمية والعملية على أكمل وجه، فسافر وعائلته إلى الكويت بعقد عمل فيها، حيث عمل معلما في ثانوية الجهراء، ثم التحق بالعمل في جامعة الكويت، وكانت عائلته الصغيرة تكبر عاما بعد عام، حتى صار أبا لستة أطفال، وما يزال الابن البار الذي يجتهد في سبيل إرضاء أمه، فما غاب عن ناظرها ولا غابت عن ناظره.

التقى في جامعة الكويت بعدد من الأساتذة الأجلاء والعلماء الأفذاذ، أمثال: (الفقيه العلامة الحلبي الأزهري محمد فوزي فيض الله) فكان يقدره ويبجله، وما التقاه إلا وقبّل يده تقديرا وتعظيما لمكانته، و(الشيخ العالم الفقيه الدكتور محمد رواس قلعة جي) الذي كان أستاذه الأثير في دار المعلمين بحلب، و(الشيخ الفقيه اللغوي الأستاذ عبد الوهاب طويلة) الذي جمعته به علاقة قديمة حين صاهره وتزوج أخته في حلب، و(الأستاذ اللغوي المحقق الدكتور فخر الدين قباوة) إذ شاء الله أن يجمع الطالب أحمد فوزي بأستاذه الدكتور قباوة من جامعة حلب في مكتب أساتذة جامعة الكويت، وكان الأستاذ فخورا بتلميذه وبما حققه من نجاح على الصعيدين العلمي والعملي، كذلك اجتمع أحمد فوزي مع ثلة من قامات علمية في الأدب والنقد واللغة، أمثال: محمد عبده بدوي، جابر عصفور، والشاعرة العراقية نازك الملائكة وزوجها عبد الهادي محبوبة، والدكتورة سعاد الصباح ، وكذلك الدكتور عبد القادر القط ، والدكتور محمد رجب النجار، وغيرهم ممن يصعب حصره في هذا المقام.

بذل الدكتور أحمد فوزي الهيب نفسه وجهده وجل وقته في العلم والتأليف والتحقيق والنشر، فلم يكن يفارق مكتبه إلا سويعات ليعود إليه بكل شوق ودأب، وقد لازم هذا التفاني في البحث والتحضير والتأليف نشاطات ثقافية ومشاركات علمية في جامعة الكويت وسورية ومصر وغيرها، إذ نشرت له أبحاث كثيرة في مجلات وموسوعات علمية محكمة في سورية ومصر والكويت والإمارات العربية والأردن وجامعة الدول العربية، مثل مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ومجلة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية، ومجلة الشعر بالقاهرة، ومجلة جامعة الإمارات العربية بالعين ، ومجلة البيان بالكويت، وموسوعة آل البيت بعمّان، ومجلة التراث العربي، ومجلة الموقف الأدبي باتحاد الكتاب العرب بدمشق وغيرها، كما له مقالات كثيرة في الصحف السورية والعربية مثل الأسبوع الأدبي في دمشق والجماهير في حلب والقبس في الكويت.

كما أسهم في إعداد برنامج حاسوبي (كومبيوتر) في علم العروض والقوافي، عنوانه (شعر العرب)، الشركة العالمية (صخر) الكويت 1989م(AO94).

فضلا عن مشاركاته في كثير من المحاضرات والمؤتمرات و الندوات والأمسيات الشعرية على منابر الجامعات واتحاد الكتاب ووزارة الثقافة والجمعيات الأدبية في سورية والكويت والسعودية والجزائر، وتحكيمه لعدد من مسابقات القصة والمقالة والخاطرة والشعر في الكويت والسعودية.

وتعصف الحرب بحياة الدكتور أحمد فوزي الهيب، ويكون غزو العراق للكويت في 2 أغسطس سنة 1990م، ويجد نفسه في محنة كبيرة، ومسؤولية حماية زوجه وبناته الخمسة وابنه الوحيد وأمه الطاعنة في السن، أمام المعارك الطاحنة والجنود الذين كادوا يقتربون من عقر داره، وأمام تهديد إطلاق القنابل الكيميائية، عزم على مغادرة الكويت عائدا إلى بلده سورية سنة 1992م، بعد غياب طال وبلغ السبعة عشر عاما، عاد إليها والشوق يملأ فؤاده،

وشريط الذكريات يُكرُّ أمامه وكأنه ما فارقها ساعة، هو الحنين الدائم الذي يدفع الإنسان أن يتنفس الحياة من أجل من يحب ويهوى، عشق حلب وقلعتها، أصدقاءه وأبناء الحي وأحجاره، عاد إليها وهو كهل في السادسة والأربعين من عمره، وعنده من الهمة والطاقة المعنوية والمادية ما أهّله أن يؤسس قاعدة متينة في بلده، فتوجه إلى التجارة ومعاملاتها وفتح محلات تجارية متنوعة، وكان على قدر كبير من الدقة والأمانة والنشاط والعمل، الأمر الذي جعل اسمه يكبر في الساحة التجارية، وسمعته العطرة تجوب وتجول أرجاء حلب الشهباء وخارجها.

لكن خوضه في التجارة والعمل لم يكن ليبعده عن العلم والبحث والتحقيق، فقد غدا جزءا من تكوينه وديدنه، وسرعان ما استأنف نشاطه الثقافي ومشاركاته العلمية في جامعة حلب وجمعية العاديات والجمعية السورية لتاريخ العلوم وجمعية البحوث والدراسات في اتحاد الكتاب العرب في دمشق، وغيرها. وتوطدت علاقاته مع علمائها ومفكريها أمثال: المؤرخ والباحث الموسوعي محمد قجة، والدكتور عمر دقاق، والدكتور عبد الكريم الأشتر، والدكتور عصام قصبجي، والدكتور صلاح كزارة، والدكتور حسن عبد المحسن وزوجته الدكتورة مهجة الباشا، وغيرهم.

وكان لعلم التحقيق، الذي أحبه وأتقن قواعده وفنونه، وأدرك قيمته ودوره في إحياء التراث، النصيب الأوفى من حياته العملية في جميع مراحلها، إذ توجه إلى المخطوطات المرتبطة بمدينته حلب الشهباء، التي أخلص لها، وهو فيها أو بعيدا عنها، فعمل على تحقيق نصوصها ودراستها، فحقق كتاب العروض لابن الجني، وهو من أعظم علماء اللغة عاش فترة زاهرة في بلاط سيف الدولة الحمداني، واتصل بالمتنبي وقدم شرحاً لديوانه، وفضلًا عن ذلك حقق أربعة

دواوين لابن جابر وأبي جعفر الأندلسيين اللذين استوطنا حلب وأحباها، كما حقق لأكبر كتاب عن تاريخ حلب بعد بغية الطلب لابن العديم، وهو تاريخ ابن خطيب الناصرية أو الدر المنتخب في تاريخ حلب في ستة أجزاء. وقد استحق على جهوده تلك جائزة مدينة حلب – جائزة الباسل للإبداع الفكري – عام 1996م.

وتمضي السنون، وتقرّعين الوالد الحاني ببناته وابنه، فيزوجهم ويفرح بأحفاده، وهو مثابر في علمه ومكتبه وأبحاثه، وما يفتأ ينتقل من مكان إلى آخر إلا واصطحب كتبه معه، حتى تكونت عنده مكتبة ضخمة حوت كل أنواع الكتب والمصنفات والموسوعات والدواوين القديمة والحديثة، الأمر الذي جعل التلفزيون العربي السوري يقوم بزيارتها وتصويرها وتوثيقها، وما تزال إلى اليوم محفوظة في بيته في حلب الشهباء.

ويشاء الله أن يفقد والدته، وهو الابن البار المرضي، في حلب سنة 1996م، فيتألم بحرقة ووجع، وطالما عبّر عن تلك البركة التي فقدها منذ فارقت أمه حياته، وغابت دعواتها عن مسمعه.

واستمر في حياته يقسمها بين العلم والتجارة، ويحقق التوازن الذي طالما عرف به، وبتقديره لأبعاد الأمور، يتوجه الصبر والأمانة والصدق والإخلاص.

وتعصف الحرب بحياته مرة ثانية، وتقوم الحرب في سورية، وتنقلب أحوال البلاد رأسا على عقب، و تتدمر أمام عينيه بُنى تحتية ومبان عمرانية، وأرواح تُزهق وآراء تُقسم بين معارض ومؤيد، وهو الشيخ البالغ من العمر خمسا وستين عاما، ينصح فلا يُسمع، يرشد ويوجّه دون جدوى، فلا حياة لمن تنادي أمام فتنة عارمة ومحنة قاسية، فيلملم نفسه وزوجه ويشد رحاله هذه المرة

بعيدا إلى الجزائر، ليستقر هناك بقرب ابنتيه المقيمتين هناك منذ أمد، وتفتح جامعة الجزائر(أبو القاسم سعد الله) قلبها مرحبة به تحتضنه في حب وتقدير وإعجاب، وتستقبله استقبال اللّهف الظمآن، بكل ترحيب وحفاوة وامتنان، الأمر الذي أسعده وخفف عنه وطأة الألم والحنين، وسار به نحو البذل والعطاء بكل ما لديه من علم وهمة ونشاط . لكنه بقي ممزق المشاعر بين محب هنا وحبيب هناك، ترافقه هالة من حزن دائم وأنين داخلي لا ينقطع .

حاول الدكتور أحمد فوزي الهيب أن ينغمس في جو العمل كعادته وأكثر، عله يتسلى بهذا عما يكابده من إحساسه بواقع الحياة المرير، وصراع الغربة التي ما فارقت روحه، فبذل جهدا كبيرا في جامعة الجزائر التي أحبها وأحب أساتذتها وطلبتها، وعمل على ترسيخ محبة التراث في قلوب طلابها، كما ساهم في تنشيط قسم تحقيق المخطوطات من خلال دروسه في علم التحقيق، وتطبيقاته التي أجراها مع طلبته على مخطوطات جزائرية، وجّههم إليها وحضّهم على إحياء تراثهم الجزائري، وبيّن لهم واجبهم الذي يقتضي منهم ردّ الجميل والعرفان لوطنهم حبّا وطواعية.

كما شارك في كثير من المحاضرات والندوات والملتقيات الدولية والوطنية في جامعة الجزائر2 وجامعات أخرى في مختلف ربوع الجزائر، منها تلمسان والجلفة وغيرهما، وحكّم في عدد من المجلات في جامعة الجزائر، وشارك في تكوين طلبة الماستر والدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الجزائر (أبو القاسم سعد الله) وأشرف على كثير من المذكرات والرسائل الجامعية في مختلف شعب التكوين، بكل سعادة وحب وامتنان، وكان عضوا في فرقة بحث " الأدب في غير كتب الأدب التقليدية".

فضلا عن مساهماته في نشاطات خارج قطر الجزائر في المرحلة نفسها، مثلكونه عضو لجنة تحكيم مسابقة دولية جوائز مؤسسة البابطين الثقافية في الكويت (الإبداع في نقد الشعر) وعضو اللجنة الاستشارية لمعجم البابطين لشعراء العربية في عصر الدول والإمارات. و نشرت له أبحاث في مجلة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة، وغيرها.

وبقي الدكتور أحمد فوزي الهيب مثالا للعطاء ونبراسا للعلم والكفاح طوال أيام حياته، ولم تثنه جائحة كورونا عن هذا العطاء المبذول والجهد المضاعف في سبيل إغناء الطلبة وتسليحهم بالعلم، ولم يبخل عليهم يوما بتزويدهم ما يلزمهم، بل كان يستزيد ساعات من وقته، يوفرها لطلبة العلم ممن يحبون أن ينهلوا من معينه ويكسبون من علمه الزاخر، ولم يتوان عن هذا الحال مع تفاقم وباء كورونا، ولم يتقاعس عن طلبته، يعلمهم ويدرسهم ما ينقصهم، وحين كان يلام على عدم الحيطة من هذا الوباء في سبيل البذل والعطاء ، كان يردد قوله : " اليوم أجد طلاب علم أدرسهم، وغدا قد لا يتاح لي ذلك" .

ومضات من شعره:

تميزت شخصية الدكتور أحمد فوزي الهيب بالشاعرية المتناهية، فلا يلبث يمر به حدث إلا ويحرك مشاعره، وتفيض كلماته تترا من غير تردد ولا تؤدة، لذا نجد جل شعره وجدانيا، وعلى الرغم من مجموع قصائده المتنوعة التي كتبت بخط يده، إلا أنه لم يكن يعد نفسه شاعرا، ويتواضع أمام ذكر شعره أو مدح قصائده. ومع اطلاعي على جل شعره، وجدت أن شعوره بالغربة كان بارزا في كثير منه، من ذلك قوله:

غريبٌ في صَحارى العمـ ـرِ يمحو ظلَّه القـدرُ

ويورق في جراحاتي الـ حنينُ ويذبلُ الزهرُ

وتذبلُ في عيوني الأر ضُ والأكوانُ والعمرُ

فأين البيتُ أسكنُه أعــودُ إليه أدّثِــرُ

وأين الحِبُّ والشهبا ءُ والأصحابُ والقمرُ

لكنه مع آلام الحنين ووجع الذكريات المرير، بقي معلّقا أمله بالعودة والرجوع ، داعيا المولى ببزوغ فجر جديد:

فهل بعد الظلامِ يهلُّ فجــرٌ آمنٌ عطـرُ

وتشرقُ شمسُ أوبتِنا إلى الشهباء تنتظرُ

نعودُ فتبسمُ الأزهــا رُ والأطيارُ والشجرُ

وبابُ النصرِ والأُمَوِيُّ والأسـوارُ والحجرُ

فَيَا ربّاهُ رُحماكــا فقد أضناني السهرُ

وله قصيدة أخرى يشكو بُعد أحبابه وأصحابه، وهو الإنسان الاجتماعي بطبعه المحب لخلانه وأقرانه :

حتّامَ يا قلبي تنــوحُ من النّــوى من أحمرِ الأشواقِ والأحزانِ

من بُعد أحبابِ الطفولةِ والصّبا ترنو إليهم ساخنُ الأجفانِ

ويهزُّنــي شــوقي إليهــم هـــزةً تجتاحُني وتهدُّ كــلَّ كياني

وحين يتذكر جلسات السمر مع أصحابه، ويسترجع ذكريات أحاديثهم وجميل لقائهم، ترنو روحه إليهم ويودّ لو يعيد الزمان هذه اللحظات مع الصحب و الأحباب :

أتذكَّـرُ السّهراتِ في أزمانِهـم وحـديثَنا متمـوجَ الألــوانِ

ينسابُ صوتُهم الرّخيمُ بغربتي فأرى ظلالَهم على الجدرانِ

وأرى ابتساماتِ الأحبةِ هــانئًا وأسامرُ الأحبابَ في تِحنــانِ

نتجاذبُ الأقـوالَ عـن أحوالِنا والليلُ يسري دانيَ الأفنــانِ

و ما يزال يستفيض بوصف حاله مع الذكريات، حتى أضحت أمامه حقيقة يلامسها بحواسه ويستشعر بها ويتفاعل معها، حتى إنه مدّ يده يلامسها ليرى هل هي حقيقة أم محض خيال، قال:

و مددتُ كفّي هل صحيحٌ ما أرى فصحوتُ:لا بلْ غادروا بُستاني

وتبعتُهم أرجــو وداعًـا مُسـرعًا فرأيتُ بابَ الدّار في خفقــانِ

ورجعتُ أمشي ذاهلًا متسائلًا كيفَ الرحيلُ وما ارتوتْ أغصاني

إن هذه الروح الشاعرية التي تمتع بها الدكتور الهيب، كان يضفي عليها نفحات صوفية، تارة باستعارة بعض رموزها كليلى العامرية في قصيدة له بعنوان دمعة بين يدي ليلى العامرية :

أيا ليلى .... أيا ليلى

لماذا الشرُّ يستعرُ

لماذا الخيرُ يندحرُ

كعصفورٍ من الشّفقِ

تهشّمه يدٌ وحشيةُ الأظفارِ ينكسرُ

بلا قلبٍ تُحطّمُ آخرَ الرَّمقِ

وتبتسمُ ويُحتضرُ

وتارة أخرى باستعارة الحركات الصوفية كالدوران المولوي الذي يرمز إلى التأمل والصفاء، فيكون من اليسار إلى اليمين حيث الكون كله في حالة دوران دائم من أصغر ذرة إلى أكبر كوكب، وكذلك ناي جلال الدين الرومي الذي يرمز إلى أنين ويحكي ألم الفراق ووجع البعاد، قال[1]:

وأدورُ مثلما دار جلالُ الدين قبلي كالفلكْ

دارَ مثلَ الأرض، مثلَ البدر، مثلَ الشمس، مثلَ النجم

في الكون الرحيب

مثلَ ما في ذرَّةٍ منْ دائرٍ حولَ القلوب

درتُ، لا بل طفتُ، حتى صرتُ مثلَ الكونِ طائفْ

طفتُ حولَ القلب موّاراً بآهاتِ وأنّاتٍ، ولحنُ الناي

يدعو كلَّ هائمْ.

ولا بد للشاعر العربي المسلم الشريف أن يكتب في القضية الفلسطينية، أن يعبر عن حبه لبيت المقدس، وألمه لمصابه واغتصابه، ورغبته في تحريره وانتصاره، وهو دائما في حالة انتظار صلاح الدين، وتأهب لرفع الراية فوق قبة الأقصى الشريف، وبزوغ نهار جديد ، قال[2]:

يا حبيبي

أيُّها المأسورُ من شرقٍ وغربِ

أيُّها المذبوحُ من عرقٍ لعرقِ

أيُّها المخذولُ من عَجمٍ وعُربِ

...

انتظارٌ لسيوفٍ يعرُبيّة

تطردُ الظُّلمةَ من أفقِ السّماء

تنشرُ الخضرةَ في كلِّ الجِواء

انتظارٌ لصلاحِ الدين يأتي بالحميَّة

يحملُ السيفَ الأصيلا

يوقدُ الإخلاصَ نورًا للقضيَّة

يرفعُ الراياتِ فوقَ القدسِ تمحو كلَّ راية

يا صلاحَ الدينِ إنّا في انتظار

يا صلاحَ الدينِ هل يأتي النهار...

إن آلام الشاعر أحمد فوزي وأحزانه التي حملها بين ضلوعه، كانت تزيده إيمانا وتسليما، فبرغم التساؤلات العقلية التي لم يجد لها جوابا، استكان في آخر المطاف وسلّم بقضاء الله وقدره، وتوجه إليه بقلبه ووجدانه، قال:

وعَنَــا قلبٌ للـــه عَـلا يرجوهُ ليقبَلَ قربانَــهْ

يدعوهُ ليرضى أقدارًا كُتبتْ قد زادَت إيمانَه

سُطِرت بيدِ العلّام على لوحٍ لا نعرفُ شُطآنــهْ

حِكَمٌ لا يدري العقل لها سرًّا،ماأعظمَ،سبحانهْ

هل، كيف، لماذا، أسئلةٌ للسائلِ هدّتْ أركانــهْ

يــا أسئلةً لا يدركُـــها عقلٌ ما أوهى بُنيانــهْ

لكـنّ فــؤادًا يعرفـــها إنْ سلّمَ ربًّـا شريانــهْ

رضيَ الرحمنُ على قلبٍ وسِعَ الرحمنَ وأكوانَــهْ

و حين بلغ السبعين، راح يشعر بوطأة الزّمن ومُضي السنين، يلتفت وراءه ويتأمل الماضي بعين النابه وقلب الراضي المنيب:

و وصلنا شاطئ السبعين يسري عمرُنا مثل شراعِ التائهين

مسرعًا يَمضي كومضِ الأمنِ في ظلمةِ قلبِ الخائفين

لو سُئلنا : كيف مرَّت؟ لأجبْنا مثل حلمِ الحالمين

مثل زغبِ الطيرِ كنّا أولَ العمرِ ضعافًا

إذ مضى نحو جِنانٍ والدٌ بَرٌّ رحيم من كرامِ الصالحين

فرعتْنا أمُّنا شبرًا فشبرًا بشغافِ القلبِ حبًّا وبحزمِ الحازمين

ومشينا بالرضا نبغي فلاحَ الفالحين

كم بَنينا من بناءٍ قد قضينا العمرَ نبنيه بجهدِ الجاهدين

كم رحلنا لبلادٍ نبتغي العلمَ بصبرِ الصابرين

وبلادٍ قد نقلناه إليها صافيًا يروي قلوبَ الظامئين ...

وحين وقف وقفة المتأمل على شاطئ رأس البسيط قرب مدينة اللاذقية، تذكّر أيام الصّبا ولهوه، حيث اللعب والمرح مع الأصحاب، في المكان نفسه تزاحمت أمامه الثنائيات، القديم والحديث، الصخب والهدوء، النشاط والركود، ولاحت له الفروقات، فهيهات الجمع بين الشباب والمشيب، الشروق والغروب، قال:

هذي الشواطئُ هل عرفتِني فأنا مَن بثَّكِ الحُبَّ أيامَ الصِّبا النَّضِرِ

جِئنا رِمالَك شُبّانًا تُراودُنا أحلامُ مستقبلٍ يَرنو على خَفَرِ

كم قد حَفرْنا على الأشجارِ أحرُفَنا يا ضيعةَ الأملِ المحفورِ في الشّجرِ

أتيتُك الآن والمشيبُ يحْملُني عَلّي أرى في الزّوايا ضائعَ العمرِ

علّي أرى فيك أثارَ الصِّبا بقيتْ هيهاتَ يُستأمنُ الرَّملُ على الأثرِ

كنتُ أحبُّ شروقَ الشّمسِ أرقبُهُ فصرتُ أهوى غروبَ الشّمسِ في حذرِ

وهكذا عشق الدكتور الهيب غروب الشمس في آخر أيامه، فكان يرقبه و يتقصد تتبعه، ويجد فيه معادلا موضوعيا لحاله وما آل إليه، يقف أمامه يحاوره ويشاطره، ويبثّ فيه أنفاسه الحرّى و أشواقه اللامتناهية.

وفـاتــه:

لم يتوان الدكتور أحمد فوزي الهيب عن نشر العلم ورحيقه، كالنحلة تدور من بستان إلى آخر، تبث -أينما حلّت- ألوان العسل، وتبعث في أفئدة مريديه الأمل، يبتغي مرضاة الله في كل حرف ينطقه، وفي كل كلمة يتفوه بها، يشهد الله أنه أحب اللغة العربية وحبّبها لعباده (مقالاته حول العربية)، وأنه أخلص للغة قرآنه، وعمل على تدبر آياته، وما فتئ يرتلها كل أيامه، فكان آخر أثر تركه، عمل عليه وحققه، هو كتاب كروم التهاني في تفسير السبع المثاني لابن شداد الحلبي (تحقيق ودراسة)، وهو تحت الطبع، ولم يُقدّر أن يخرج إلى النور في حياته، فكان مسك ختامها، وسِفر مودعها، إذ أصاب الأستاذ الدكتور أحمد فوزي الهيب داء كورونا، وهو في كامل صحته وقوته وعطائه، غاب أياما معدودات في مشفى الدويرة في العاصمة الجزائرية، وكنت برفقته، وقد أبيت إلا أن أبقى معه حتى آخر رمق، لأنه تربطني به علاقة فريدة، فكنت له الابنة والصديقة والفتاة التي بأبيها معجبة، ولكن يشاء الله أن تسلم الروح لبارئها، ويوارى جثمانه في 2021/01/16م، بمقبرة أمحمد في بوزريعة بالجزائر العاصمة، حيث صلّى عليه الشيخ العلامة الإمام يحيى صاري، وقام بتأبينه الشيخ الإمام الدكتور رضا غمور والشيخ الدكتور أمين قادري، وقد حضر جنازته وفدٌ رسمي من الجامعة ممثلٌ في : عميد الكلية الأستاذ الدكتور علاوي حميد؛ ورئيس المجلس العلمي للكلية الأستاذ الدكتور وحيد بن بوعزيز؛ والأمين السابق لجامعة الجزائر

ورئيس مخبر اللسانيات التطبيقية الأستاذ الدكتور سيدي محمد بوعياد، وجمعٌ من الأساتذة والطلبة، فضلا عن صهريه وحفيده وأصدقائه وجيرانه .

وهكذا طويت صفحة ما تزال كلماتها تتدفق ما دامت الحياة على هذه المعمورة، وقد قال رسولنا الكريم ﷺ:" إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر "[3]، غادرنا الدكتور أحمد فوزي الهيب إلى دار البقاء، لكن روحه باقية، آثاره خالدة، رسالته ماضية، تتجدد ثمارها، و يتجذر أصلها، ويسمو فرعها في السماء[4].

الملحق :

1- الكتب التي ألفها وحققها:

1- الأدب وروح العصر (مع د. عبده بدوي ود. محمد حسن عبد الله) ذات السلاسل ، الكويت 1984م .

2- الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب، مؤسسة الرسالة، بيروت 1986 م ، وطبعت طبعة ثانية في جامعة حلب 2006 [5].

3- الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب، دار المعلا ، الكويت 1987، وطبعت طبعة ثانية في جامعة حلب 2006[6] .

4- العروض لابن جني ، تحقيق ، دار القلم ، الكويت 1987م .

5- الجانب العروضي عند حازم القرطاجني. دار القلم. الكويت 1988م.

6- الحسن الصريح للصفدي ، تحقيق، دار سعد الدين، دمشق 2003م .

7- إيقاع الشعر العربي ، دراسة في فلسفة العروض ، دار القلم العربي ، حلب 2004م .

8- التصنع وروح العصر المملوكي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004م.

9- ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين لابن جابر الأندلسي، تحقيق، دار سعد الدين، دمشق 2005م .

10- شعر ابن جابر الأندلسي ، جمع وتوثيق وتحقيق ، دار سعد الدين ، دمشق 2006 .

11- ديوان المقصد الصالح في مدح الملك الصالح لابن جابر الأندلسي. تحقيق. دار سعد الدين ، دمشق 2007 .

12- كتاب العلم (من إحياء الغزالي) عناية. دار سعد الدين. دمشق 2008م .

13- ديوان ابن الوردي ، تحقيق ، طبعة أولى في دار القلم، الكويت 1986م ثم طبعة ثانية في مؤسسة الرسالة والدار العامرة، دمشق 2010 .

14- تاريخ دمشق لابن عساكر ، تحقيق بتكليف من مجمع اللغة العربية ، مجمع اللغة العربية ، دمشق 2011 .

15- كتاب الدر المنتخب في تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية، مؤسسة البابطين الثقافية. الكويت 2018 (ستة أجزاء) .

2- الأبحاث:

له أبحاث كثيرة يتجاوز عددها المائة منشورة في مجلات محكمة وموسوعات، وملقاة في مؤتمرات دولية ومحلية وندوات، منها:

1- بحث ابن الوردي أمير شعراء حلب في العصر المملوكي،شعره الديني ، (مجلة اللغة والأدب ، جامعة الجزائر، العدد 27- مارس) 2016.

2- بحث نحن – العرب – والكتاب الإلكتروني (محاضرة جامعة الجزائر الثانية) . عام 2016

3- بحث أهمية المخطوطات في (دورة تحقيق المخطوطات في وزارة الثقافة الجزائرية) المكتبة العامة شهر نيسان 2016.

4- بحث العجائبية في رسالة التوابع والزوابع ، (محاضرة في جامعة الجزائر أيار) 2016.

5- بحث التقنيات المعاصرة وضرورتها في البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، ألقي في الملتقى الدولي الرابع (مناهج البحث في اللغات والآداب والفنون في جامعة أبي بكر بلقايد) . كلية الآداب واللغات ، تلمسان . 28-29/ نوفمبر 2017

6- بحث شهاب الدين السهروردي بين التصوف والسياسة، (مجلة الخطاب الصوفي، العدد 7) 2017 .

7- بحث حرفة الطب في حلب كما صورها مخطوط كتاب (الرحلة إلى بيت الله الحرام) لحُجيج بن قاسم الوحيدي، (مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ، المجلد 61 عدد مايو) 2017.

8- بحث الشعرية وأوزان الشعر العربي لدى حازم القرطاجني، ندوة (الشعرية العربية بين القديم والحديث) جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله. كلية اللغة العربية وآدابها . قسم اللغة العربية 2018/4/19.

9- بحث المخطوط العربي بين الأمس واليوم والغد، ألقي في ندوة (المخطوط العربي وواقع العناية به) التي أقامها قسم اللغة العربية بكلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية ومركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر في 23/ 2018/4.

10- بحث أدب التراجم، الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب أنموذجًا . ألقي في (الجامعة الأمريكية في بيروت وجامعة القديس يوسف) في 17 و18 ماي 2018 .

11- بحث ابن العديم عمر بن أحمد بن هبة الله (588-660هـ) وبيئتاه الزمانية والمكانية، وكتبه المخطوطة والمطبوعة. أُلقي في (المؤتمر الدولي المشترك

بين جامعة زيان عاشور في الجلفة ومعهد المخطوطات في القاهرة) في 28 و29 / 2018/11.

12- بحث الجانب الأدبي لكتاب الدر المنتخب، (مجلة اللغة والأدب)، جامعة الجزائر ، عدد ديسمبر 2018.

13- بحث كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة أول كتاب في غريب القرآن ومعانيه. (مجلة كلية العلوم الإسلامية في جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية في اسطنبول)

14- بحث التصوف في بلاد الشام القرن العاشر الهجري كما صوره مخطوط الرحلة إلى بيت الله الحرام للوحيدي. (في مجلة الخطاب الصوفي)

15- بحث مشترك بعنوان: الأدب في غير كتب الأدب التقليدية مع أ.دهندة بوسكين وباحثين اثنين آخرين.

الإحالات:

[1] أحمد فوزي الهيب، شعر آهات مولوية، مجلة الخطاب الصوفي، مخبر الخطاب الصوفي، جامعة الجزائر2 ، العدد السابع2017م: ص212

[2] أحمد فوزي الهيب، شعر بيت المقدس والانتظار، فنون وثقافة، صحيفة القبس الكويتية، الجمعة 2/أكتوبر1987م:
ص8-9

[3] الترمذي.محمد بن عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وأصدقاؤه، ط2 مطبعة البابي الحلبي، مصر 1398هـ، 1978م: ج5/ص48

[4] إسراء الهيب، عن أحداث ومناسبات وأقوال وحوارات مع والدها المرحوم الدكتور أحمد فوزي الهيب، وعن صديق عمره وعديله الأستاذ رضوان دباغ المقيم حاليا في تركيا (حفظه الله).

[5] الغزي.كامل بن حسين، نهر الذهب في تاريخ حلب ، تقديم وتعليق: شوقي شعث ومحمود فاخوري، دار القلم العربي ، حلب 1991م: 10/1 ، و مختار فوزي النعال، ينبوع الذهب فيما كتب عن حلب ، دار الرضوان ، حلب 2005م: ص111

[6] نهر الذهب:10/1، وينبوع الذهب: ص109

المراجع

- الترمذي. محمد بن عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وأصدقاؤه، ط2 مطبعة البابي الحلبي، مصر 1398هـ، 1978م.
- الغزي. كامل بن حسين، نهر الذهب في تاريخ حلب ، تقديم وتعليق: شوقي شعث ومحمود فاخوري، دار القلم العربي ، حلب 1991م .
- النعال. مختار فوزي ، ينبوع الذهب فيما كتب عن حلب ، دار الرضوان ، حلب 2005م.
- الهيب. أحمد فوزي ، شعر آهات مولوية، مجلة الخطاب الصوفي، مخبر الخطاب الصوفي، جامعة الجزائر2 ، العدد السابع2017م.
- الهيب. أحمد فوزي ، شعر بيت المقدس والانتظار، فنون وثقافة، صحيفة القبس الكويتية، الجمعة 2/أكتوبر1987م.
- الهيب. إسراء، عن أحداث ومناسبات وأقوال وحوارات مع والدها المرحوم الدكتور أحمد فوزي الهيب، وحوار مع صديق عمره وعديله الأستاذ رضوان دباغ المقيم حاليا في تركيا (حفظه الله).